ما هو الإسلام المطلوب من الأمّة والأفراد؟

(خطبة عيد الأضحى للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

اليوم 10 من ذي الحجة 1434هـــ الموافق لـــ 15 أكتوبر 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد، ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنّ مُحمّدًا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿01﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿102﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿70﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿71﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهَدْيِ هَدْيُ محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها، وكلّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلّ بدعةٍ ضلالةٌ، أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا،

والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بُكْرَةً وأصيلاً،

الله أكبر، ما ارتدى الحاجّ لباس الإحرام، ونزع لباس العُجْبِ والتّكبّر،

الله أكبر، ما ترك الحاجّ الأهل والأزواج والأولاد والدّيار، وهرع إلى بيت الله الحرام يرجو عفو وغفران العزيز الغفّار،

الله أكبر، ما لبّى الحاجّ واستغفر وذكر وكبّر،

الله أكبر، ما طاف بالبيت العتيق واستلم الحجر قائلاً الله أكبر،

اللهُ أكبر، ما سعى بين الصّفا والمروة وقال: (**لا إله إلاّ الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده**)،

اللهُ أكبر، ما وقف بعرفة متضرّعًا مستغفرًا، راجيًا العتق من نار جهنّم،

اللهُ أكبر، ما رمى جمرة العقبة ونحر وحلّق وقصّر،

اللهُ أكبر، ما رمى الجمرات وطلّق نزغات الشّيطان من أجل طاعة الغفّار المتجبّر،

اللهُ أكبر، ما رجع من بيت الله الحرام وقد فاز وتطهّر،

اللهُ أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرةً وأصيلاً.

إخوتي الكرام،

كفى بالإسلام نعمةً،

في مستشفى المنصور الكبير الّذي أنشأه في مصر الملك المنصور سيف الدّين قلاوون عام 1284م، كان هذا المشفى آيةً من آيات الدّنيا في التّنظيم والتّرتيب والخدمة، جعل الدّخول مباحًا لجميع المسلمين من ذكرٍ وأنثى، حرٍّ وعبدٍ، ملكٍ ورعيّةٍ، وجعل لمن يخرج منه من المرضى عند برءه كسوةً كاملةً، ومن مات جُهِّزَ وكُفِّنَ ودُفِنَ.

دُعِيَ في هذا المستشفى الأطباء من مختلف فروع الطّبّ، ووظّف الفرّاشون، وخدمة المرضى، وغسل ملابسهم، وخدمتهم في الحمّام، ولكلّ مرضٍ أقسامٌ: - أمراض جهاز

التّنفّس – أمراض العظم . . .، ومكانٌ لرئيس الأطبّاء، يُلقي دروس الطّبّ للطّلبة، مستشفى تعليميٌّ علاجيٌّ، ويُعطى للمريض نفقة أيّامٍ حتّى لا يعمل عند خروجه، ومن يُعاني من المرضى فلا ينامون، يوضعون في قاعةٍ منفردةٍ، يُنشد عليهم أناشيد وأدعية وقصص من بعض الوعّاظ.

هذا المستشفى أنشأه النّاصر قلاوون عام 1284م، ثمّ اندثر هذا المستشفى وتلاشى، وتحوّل بسبب الجهل إلى حالٍ لا يُصدّق، فقد زاره أحد الباحثين في القرن 19م، فقال: (وقد تخرّب، ولم يبق منه سوى قبر مؤسّسه وبعض حاجاته، يأتي إليها المرضى، يزورون قبر السّلطان بقصد الشّفاء، فيمسّون عمامته لشفاء أوجاع الرّأس، وقفطانه للشّفاء من الحميات، وتجتمع الشّابات من النّساء والأمّهات ومعهنّ أولادهنّ ، فتطلب واحدةٌ من الله أن يرزقها ولدًا ذكرًا، وتقفز النّساء مرارًا، ويترعن ثيابهنّ حتّى يَتْعَبْنَ.

انظروا إلى هذه النّقلة الخطيرة من مستشفى حضاريٍّ، قام على العلم إلى مستشفى يقوم على الجهل والخرافة والخزعبلات، والشّعوذة والسّحر والدَّرْوَشَة، والإستغاثة بالموتى، ودعاء الموتى الّذين هم يحتاجون إلى دعاءٍ:

(من زار كاهنًا أو عرّافًا وصدّقه ممّا يقول، فقد كفر بما أُنْزِلَ على محمّدٍ).

" وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ . . .

﴿ 186 ﴾ " سورة البقرة.

الإسلام هو دين الله، الإسلام هو وحي السّماء، الإسلام التزامٌ، الإسلام أمانةٌ، الإسلام صدقٌ، الإسلام حضارةٌ، الإسلام بناءٌ، الإسلام إتقانٌ، الإسلام خدمة المسلمين، الإسلام رعاية الضّعفاء، الإسلام إعلاء كلمة الحقّ، الإسلام نصرة المظلوم.

هكذا كان الإسلام، مثّلناه بالمستشفى في نظامه، في خدمته للنّاس، في حرصه على سلامة نفوس المسلمين، هكذا كان الإسلام،

وهكذا صار حالنا، بِدَعٌ وخرافاتٌ، سحرٌ وشعوذةٌ، وأوهامٌ وأذواقٌ ومكاشفاتٌ، وكشف الغيْب للنّاس، والإستغاثة بالقبور.

إخوتي الكرام،

هذا الدّين الّذي ندين به هو القرآن والسّنّة على فهم جيل الصّحابة، قال صلّى الله عليه وسلّم: (**تركتُ فيكم ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا من بعدي أبدًا، كتاب الله وسنّتي**).

" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ . . .

﴿ 143 ﴾ " سورة البقرة.

العالم لا يلتفت إلى ما عند المسلمين من الخير والهَدْيِ، وهو يرى مجتمعًا متخلّفًا، مجتمعًا لا يُنْتِجْ، مجتمعًا أحياؤه غير نظيفةٌ، مجتمعًا تكثر فيه الجريمة،

ما الّذي سَيُغْرِيهِ ليلتفت إلى ديننا، وديننا لم يغيّرنا، وهو ذات الدّين الّذي غيّر العرب، فجعلهم خير أمّةٍ أُخرِجت للنّاس.

فإذا لم نلتفت نحن إلى مشكلاتنا، فلن يلتفت إلينا أحدٌ.

" . . . إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ . . .

﴿ 11 ﴾ " سورة الرّعد.

نحن معنا منهج الله تعالى الّذي يهدي للّتي هي أَقْوَم:

" إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿ 9 ﴾ " سورة الإسراء.

وفي الآية إشارتيْن:

– الإشارة الأولى: أنّ القرآن يهدي إلى الصّواب والحقّ، والهدى والسّعادة والعدل.

– والإشارة الثّانية: أنّ سعادة النّاس الدّنيويّة والأُخرويّة متوقّفةٌ على العمل بهذا الدّين القيِّم.

إنّ هذه الأمّة لا يكون لها شأنٌ لمجرّد أنّها تنتسب للإسلام.

ولقد أخبرنا ربّنا جلّ جلاله عن بني إسرائيل، حينما ظنّوا أنّ الله حباهم وفضّلهم، لأنّ الله جلّ جلاله حعل فيهم النّبوّة والرّسالة.

فقالوا:

" وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ . . . ﴿18﴾ " **سورة المائدة.**

فماذا ردّ عليهم المولْى تبارك وتعالى:

" . . . قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ . . . ﴿18﴾ " **سورة المائدة.**

فانتسابنا للإسلام بالأسماء والمظاهر لا يعطينا عند الله تعالى شيئًا، ما لم نعمل بما في كتابه وسنّة نبيّه.

دخلتُ مصلحةً استشفائيّةً في العاصمة، فوجدت الطّبيب الجرّاح قد وصل على السّاعة السّابعة صباحًا، في حين الممرّضة الّتي تُهَيِّئ الملفّات، ملفّات المرضى، لم تصل إلاّ على السّاعة التّاسعة، ممّا أخّر العمليّة ساعةً بذاتها.

فقلت: (**بمثل سلوك هذا الطّبيب نغري العالم بالإسلام، وبمثل سلوك تلك الممرّضة، الّتي لا تؤدّي وظيفتها في الوقت المناسب، نُنَفِّرُ العالم من هذا الإسلام، ونؤخّر العالم الإسلاميّ عن ركب الحضارة**).

معاشر المسلمين،

إنّ الإسلام سلوكاتٌ، وأخلاقٌ ومبادئٌ.

قبل شهورٍ مضت، جاءني جزائريٌّ وقد أسلمت زوجته الأجنبيّة، فأفهمتها أركان الإسلام، وحقيقة الدّين الإسلاميّ، ثمّ قُلْتُ لزوجها: (**إمّا أن تُعطيها صورةً جميلةً عن الإسلام بسلوكك، فتزيدها يقينًا في الدّين والتزامًا، أو يصبح إسلامها شكلاً بلا معنى ولا حقيقةً**).

فهذا بالنّسبة للأفراد، أمّا كأمّةٍ، فأعداء الإسلام فهموا أنّ هذا عصر التّكتّلات، عصر اجتماع الجهود، فأوروبا حتّى تواجه قوّة أمريكا والصّين الإقتصاديّتين، اتّحدت 25 دولةٍ وكأنّها دولةٌ واحدةٌ.

بينما نحن على مستوى مؤسّسةٍ صغيرةٍ، كلّ واحدٍ يحاول أن يحطّم الآخر، ليختزل العشرة في واحدٍ هو الأنا.

في حين أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: (**عليكم بالجماعة، ومن شذّ شذّ في النّار)**، رواه التّرمذي وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه.

إخوتي الكرام،

ما ينبغي أن يَصْدُقَ علينا قول الشّاعر:

دع المكارم لاترحل لبغيتها واقعد فإنّك أنت الطّاعم الكاسي

إنّ التّغنّي بالأب وأمجاد الماضي مفيدٌ، إذا كان الحاضر امتدادًا للماضي الزّاهر، وإلاّ فلا فائدة من ذلك.

أيّها المسلمون،

كلّ واحدٍ بإمكانه أن يُخفّف هموم المسلمين بإتقان عمله، بالوقوف عند حدود ربّه.

الموظّف يخدم الإسلام والمسلمين إذا استقبل النّاس بوجهٍ بشوشٍ وسهّل مهمّتهم، والطّبيب كذلك، والمهندس إذا أتقن عمله، وكذا الكنّاس والخبّاز، والمدير والأستاذ، والقاضي العادل.

أي نحن الّذين نمكّن لهذا الدّين بسلوكاتنا الموافقة لشرع العزيز الحكيم.

قال تعالى:

" مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ 97 ﴾ " سورة النّحل.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله،

معاشر الإخوة الكرام،

إنّه يوم عيدٍ،

فَأَدْخِلُوا البشاشة والسّرور على العائلة، وأفرحوا الأطفال، ووسّعوا عليهم بالحلال الطيّب من الطّعام والشّراب واللّباس.

وتجاوزوا واعفوا عن بعضكم بعضًا، قال تعالى:

" . . . وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿134﴾ " **سورة آل عمران.**

فمن كان في خلافٍ مع زوجه فليتصالح، ومن كان في خلافٍ مع عمّه أو خاله فليتصالح، ومن كان على خصومةٍ مع جاره فليتجاوز عنه في هذا العيد المبارك.

ثبت في الصّحيحيْن، من حديث أبي أيّوب أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: (**لا يحلّ لمسلمٍ أن يهجر أخاه المسلم، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الّذي يبدأ بالسّلام**).

روى مسلمٌ عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:
(**تُفتح أبواب الجنّة يوم الإثنين والخميس، فيغفر الله لكلّ عبدٍ لا يُشرك بالله شيئًا، إلاّ رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيُقال أَنْظِرُوا هاذيْن حتّى يصطلحا**)، **3 مرّاتٍ كرّرها.**

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت، وعافِنا فيمن عافيْت، وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بِقَوْمٍ فِتنةً، فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهمّ إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك، وحبّ كلّ عملٍ يُقرِّبنا إلى حبّك،
اللّهمّ اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لِقاك،
اللّهمّ لا تأخذنا على حين غِرّةٍ، ولا على حين غفلةٍ،
اللّهمّ إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهمّ انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،

اللّهمّ فرّج كربة ومحنة السّوريّين،
اللّهمّ فرّج كربة ومحنة المصريّين،
إنّك على كلّ شيءٍ قديرٌ، وبالإجابة جديرٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
تقبّل الله منّا ومنكم، غفر الله لنا ولكم، وكلّ عامٍ وأنتم بخيرٍ.